

الفائق في غريب الحديث

وكذلك كان يوم مات رسول الله ﷺ أَدْغَلَ الناسُ من بَيْتَيْنِ مُدَّعِي إِمَارَةٍ وَجَاحِدٍ زَكَاةٍ ؛ فلولا اعتراضُ أَبِي بَكْرٍ دَوْنَهَا لَكَانَتِ الْفُضَيْحَةُ . ويجوز أن يريد بالفلتة الخلسة يعني أن الإِمَارَةَ يَوْمَ السَّقْفِيَّةِ مَالَتْ إِلَى تَوَلَّيْهَا كُلُّ نَفْسٍ وَنَظَرَتْ بِهَا كُلُّ طَمَعٍ وَلِذَلِكَ كَثُرَ فِيهَا التَّشَاجُرُ وَالتَّجَادُبُ وَقَامُوا فِيهَا بِالْخُطْبِ وَوُثِبَ غَيْرُ وَاحِدٍ يَسْتَصَوِبُهَا لِرَجُلٍ عَشِيرَتِهِ وَيُؤَيِّدِي وَيُغَيِّدُ فَمَا قُلَّ دَهْأُ أَبُو بَكْرٍ إِلَّا انْتِزَاعًا مِنَ الْأَيْدِي وَاخْتِلَاسًا مِنَ الْمَخَالِبِ وَمِثْلُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ جَدِيرَةٌ بِأَنْ تَكُونَ مُهَيِّجَةً لِلشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ فَعَصِمَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ وَوَقَى !

التَّغْرِيرَةُ : مصدر غَرَّرَ به ؛ إِذَا أَلْقَاهُ فِي الْغَرَرِ . وَالْأَصْلُ خَوْفُ تَغْرِيرَةٍ فِي أَنْ يُقْتَلَ ؛ أَيِ خَوْفِ إِخْطَارٍ بِهِمَا فِي الْقَتْلِ . وَانْتِصَابُ الْخَوْفِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأَقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامُهُ وَحُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ . وَيجوز أن يكون : أَنْ يُقْتَلَ بِدَلَا مِنْ تَغْرِيرَةٍ وَكِلَاهُمَا الْمُضَافُ مُحذُوفٌ مِنْهُ . وَإِنْ أَضِيفَتِ التَّغْرِيرَةُ إِلَى أَنْ يُقْتَلَ فَمَعْنَاهُ خَوْفُ تَغْرِيرِ قَتْلِهِمَا عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى : بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَالضَّمِيرُ فِي مِنْهُمَا لِلْمَبَايِعِ وَالْمَبَايَعِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَيُّمَا رَجُلٍ بَايَعَ رَجُلًا .

وَالْمَعْنَى أَنَّ الْبَيْعَةَ حَقٌّ هَا أَنْ تَقَعَّ صَادِرَةٌ عَنِ الشُّورَى فَإِذَا اسْتَبَدَّ رَجُلَانِ دُونَ الْجَمَاعَةِ بِمَبَايِعَةٍ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فَذَلِكَ تَظَاهَرُ مِنْهُمَا بِشَقِّ الْعَصَا وَإِطْرَاحِ لِلْبِنَاءِ عَلَى أَسَاسٍ مَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ الْبَيْعَةُ فَإِنْ عُقِدَ لِأَحَدٍ فَلَا يَكُونَنَّ الْمَعْقُودُ لَهُ وَاحِدًا مِنْهُمَا وَلِيَكُونَ مَعزُولِينَ مِنَ الطَّائِفَةِ الَّتِي يُتَسَفَّقُ عَلَى تَمْيِيزِ الْإِمَامِ مِنْهَا ؛ لِأَنَّهُ إِنْ عُقِدَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا وَهُمَا قَدْ ارْتَكَبَا تِلْكَ الْفَعْلَةَ الْمَضْغِنَةَ لِلْجَمَاعَةِ مِنَ التَّهَاوُنِ بِأَمْرِهَا وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنْ رَأْيِهَا لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَقْتُلُوهُمَا .

فلفل علي رضي الله تعالى عنه قال أبو عبد الله السُّلَمِيُّ : خَرَجَ عَلَيْنَا عَلِيٌّ وَهُوَ يَتَفَلَّهْلَفَلُ وَكَانَ كَيِّسَ الْفَعْلِ وَرَوَى : يَتَفَلَّهْلَفَلُ وَرَوَى عَبْدُ خَيْرٍ عَنْهُ أَنَّهُ خَرَجَ وَقْتَ السَّحَرِ وَهُوَ يَتَفَلَّهْلَفَلُ فَسَأَلْتَهُ عَنِ الْوَتْرِ فَقَالَ : نَعْمَ سَاعَةُ الْوَتْرِ هَذِهِ !